

التحرير والتنوير

وضرب : بمعنى جعل أي جعل المركب الدال عليه كون نظمه وأوحى به إلى رسوله A كما يقال : أرسل فلان مثلاً قوله : كيت وكيت .

والتعبير عن ضرب المثل الواقع في حال نزول الآية بصيغة المضي للتشويق إلى الإصغاء إليه وهو من استعمال الماضي في الحال لتحقيق وقوعه مثل (أتى أمر الله) أو لتقريب زمن الماضي من زمن الحال مثل : قد قامت الصلاة .

ويجوز أن يكون (ضرب) مستعملاً في معنى الطلب والأمر أي اضرب يا محمد لقومك مثلاً قرية إلى آخره كما سيحيى عند قوله تعالى (وضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء) في سورة الزمر . وإنما صيغ في صيغة الخبر توسلاً إلى إسناده إلى الله تشریفاً له وتنويهاً به . ويفرق بينه وبين ما صيغ بصيغة الطلب نحو (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية) بما سيذكر في سورة الزمر فراجع . وقد تقدم في قوله تعالى (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً) في سورة البقرة وقوله في سورة إبراهيم (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) .

وجعل المثل قرية موصوفة بصفات تبين حالها المقصود من التمثيل فاستغنى عن تعيين القرية .

القرية تكون أن باحتمال بالمشرकिन للتعريض المثل هذا يصلح أن ذلك في والنكتة A E قريتهم أعني مكة بأن جعلهم مثلاً للناس من بعدهم . ويقوى هذا الاحتمال إذا كانت هذه الآية قد نزلت بعد أن أصاب أهل مكة الجوع الذي أُنذروا به في قوله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) . وهو الدخان الذي كان يراه أهل مكة أيام القحط الذي أصابهم بدعاء النبي A .

ويؤيد هذا قوله بعد (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم طالمون) . ولعل المخاطب بهذا المثل هم المسلمون الذين هاجروا من بعد ما فتنوا أي أصحاب هجرة الحبشة تسلياً لهم مفرقة بلدهم وبعثاً لهم على أن يشكروا الله تعالى إذ أخرجهم من تلك القرية فسلموا مما أصاب أهلها وما يصيبهم .

وتقدم معنى القرية عند قوله تعالى (أو كالذي مر على قرية) في سورة البقرة . والمراد بالقرية أهلها إذ هم المقصود من القرية كقوله (واسأل القرية) والأمن : السلامة من تسلط العدو .

والاطمئنان : الدعة وهدوء البال . وقد تقدم في قوله تعالى (ولكن ليطمئن قلبي) في سورة البقرة وقوله (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) في سورة النساء .

وقدم الأمن على الطمأنينة إذ لا تحصل الطمأنينة بدونه كما أن الخوف بسبب الانزعاج والقلق .

وقوله (يأتيتها رزقها رغدا) تيسير الرزق فيها من أسباب راحة العيش وقد كانت مكة كذلك . قال تعالى (أو لم يمكن لهم حرما آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء) . والرزق : الأقوات . وقد تقدم عند قوله (لا يأتیکما طعام ترزقانه) في سورة يوسف .

والرغد : الوافر الهنيئ . وتقدم عند قوله (وكلا منها رغدا حيث شئتما) في سورة البقرة .

و (من كل مكان) بمعنى من أمكنة كثيرة . و (كل) تستعمل في معنى الكثرة كما تقدم في قوله تعالى (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) في سورة الأنعام .

والأنعم : جمع نعمة على غير قياس .

ومعنى الكفر بأنعم الله : الكفر بالمنعم لأنهم أشركوا غيره في عبادته فلم يشكروا المنعم الحق . وهذا يشير إلى قوله تعالى (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) . واقتران فعل (كفرت) بفاء التعقيب بعد (كانت آمنة مطمئنة) باعتبار حصول الكفر عقب النعم التي كانوا فيها حين طرأ عليهم الكفر وذلك عند بعثة الرسول إليهم .

وأما قرن (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) بفاء التعقيب فهو تعقيب عرفي في مثل ذلك المعقب لأنه حصل بعد مضي زمن عليهم وهم مصرون على كفرهم والرسول يكرر الدعوة وإنذارهم به فلما حصل عقب ذلك بمدة غير طويلة وكان جزاء على كفرهم جعل كالشيء المعقب به كفرهم . والإذاقة : حقيقتها إحساس اللسان بأحوال الطعوم . وهي مستعارة هنا وفي مواضع من القرآن إلى إحساس الألم والأذى إحساسا مكينا كتمكن ذوق الطعام من فم ذائقه لا يجد له مدفعا وقد تقدم في قوله تعالى (ليزوق وبال أمره) في سورة العنكبوت .

واللباس : حقيقته الشيء الذي يلبس . وإضافته إلى الجوع والخوف قرينة على أنه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كملازمة اللباس لابسه كقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) بجامع الإحاطة والملازمة